**4- المنهج الانطباعي**

ويسمى ايضا بالمنهج التأثري، الذاتي، الذوقي، المزاجي والانفعالي.

أساس هذا النقد هو: الذاتية والصدق والذوق والاحساس والعاطفة دون الاحتكام الى القواعد

**الفرق بين المنهج الانطباعي والنقد البدائي.**

يجب ان نعرف بدايةً أن النقد الانطباعي يختلف عن **النقد البدائي** الذي ظهر قديماً عند كل الشعوب في مراحلها البدائية، واتصف بالسذاجة والمبالغة والتعميم، لان الناقد بناه نتيجة انفعالاته المباشرة ولم ينظر في أجزاء النص كلها ولم يهتم بالقواعد التي اتفق عليها النقاد، كأن يقول: هذه أعظم قصة أو مقالة أو هذا أشعر بيت دون بيان السبب، أو قد يذكر أسباباً سطحية غير مقنعة لا تكفي أن يحكم عليها بهذا الحكم ، وغالبا ما يكون حكم الناقد على حسنةٍ معينةٍ فيعممها على كل النص أو خطأٍ معين فيعممه.

ويكثر هذاالنوع من النقد في المراحل المبكرة من تاريخ النقد، أي قبل أن يتحول إلى علم واسع ذي قواعد ومقولات ومصطلحات وأدوات اجرائية.

ونجد لهذا النقد تجليات عند العرب في عصر ما قبل الاسلام حين كان النابغة الذبياني الشاعر المعروف الذي كان يحكم بين الشعراء وقصائدهم اعتماداً على قريحته وخبرته ومزاجه دون بيان الاسباب والعلل والمسوغات التي دعت الى هذا الحكم.

وطبيعي أن مثل هذا النقد لا يفيد المجتمعات الإنسانية، فلا يرتقي بأذواق الجمهور، ولا يساعد الأديب على تحسين إنتاجه، لان مقاييس الجمال والقبح فيه ذاتية وغير مستقرة.

أمّا **النقد الانطباعي** او المنهج الانطباعي الذي نحن بصدده، فهو قد يتفق مع النقد البدائي في بعض الاشياء، ولكنه نقد صادر عن قصد ووعي ومعرفة باشتراطات العملية النقدية ومواضعاتها، كونه رد فعلً على النقد العلمي الموضوعي، وليس صادراً عن جهل وسذاجة.

**النقد الانطباعي نقد رومانسي**

ويجب أن نعلم انّ دعاة الانطباعية والتأثرية على تباين خطوطهم يظلون على صلة كبيرة بالمذاهب الادبية التي تنزع الى المفهوم الرومانسي للادب. فالنقد الانطباعي ترعرع في إطار المذهب الرومانسي الذي يؤمن بالحرية ويعتمد على الذاتية ويرفض العقلانية وكذلك القواعد، ويحطم قوالب الاجناس الادبية ويثور على البلاغة القديمة، ويعتمد الذوق أساساً في الحكم، ويعتبر الجمال ذاتياً نسبياً، ويهتم كثيرا بالخيال، ويغلب العاطفة على العقل، ويرفض المحاكاة، ويؤمن بدلاً من ذلك بالالهام والموهبة والعبقرية سبيلاً للابداع.

شاع هذا النقد في اواخر القرن التاسع عشر خلال أجواء وظروف ساد فيها رد فعل قوي على المذهب الكلاسيكي وقواعده الصارمة وعلى المناهج النقدية السياقية( التاريخي والاجتماعي والعلمي) التي أخفقت- في نظرها- في تفسير الفن والادب، كما برزت في هذا المرحلة الآراء الفلسفية الجمالية للفيلسوف الالماني( كانت) الذي دعا الى فصل الجمال عن المنفعة والاخلاق والحق، وما أسفر عن هذه الاراء نظرية الفن للفن التي فصلت بين الادب وغاياته غير الادبية وركزت على القيم الجمالية ورأت ان الادب غاية في ذاته ولا يخدم الا نفسه.

**أصل المفهوم والنشأة**

**الانطباعية في الفن والادب**

يجب ان نعرف بدايةً انّ الانطباعية هي –بالاصل- مدرسة فنية قبل ان تكون ادبية ومن ثمّ نقدية. فقد ظهرت أولاً في ميدان الرسم ثم دخل المصطلح ميدان الادب ثم النقد.

ففي عام 1872 وقف الرسام الفرنسي كلود مونيه على لوهافر وفتح نافذة غرفته فرأى البحر والشجر والطبيعة فترك ذلك في نفسه أثراً خاصاً نفذ اليها عن طريق حواسه، فأمسك بالريشة ليرسم، لا البحر والشجر والطبيعة التي رآها بعينيه، وإنذما ليرسم الأثر الذي تركه مجموع ذلك المنظر في نفسهن بظلاله وانعكاساته وما أشاعه في وجدانه من مشاعر واحساسات. واطلق على هذه اللوحة اسم( انطباع) .

وبعد عامين1874 أقام مونيه واخرون معرضاً سمي بمعرض الانطباعيين. وهكذا ظهرت الحركة الانطباعية في الفن.

ثم انتقلت الى ميدان الادب عندما شرع ادباء في طليعتهم الاخوان( جول كونكور وادمون كونكور) يسعون الى ان يرووا عن طريق اللغة الانطباعات العابرة والظلال الاكثر دقة للاحساس من دون تحليلها عقلياَ.

فالانطباعية اذن مدرسة في الفن والادب تقوم على ان يعيد الفنان او الاديب الانطباع( الأثر) الذي حصل في نفسه ووصل اليها خلال الحواس كما احسّ به. إنّها نظرية جمالية تعتنق الانطباعات المحسوسة مبدأً أساسياً للخلق والابداع.

**الانطباعية في النقد( النقد الانطباعي)**

-تعني التأثرية او الانطباعية ان يقوم النقد على وصف الانطباعات والاحاسيس التي تتركها قراءة النص الادبي في نفس الناقد بدلاً من تفسير النص الادبي في ضوء نظريات علمية، والحكم عليه على وفق قواعد واصول ربما يكون النص بعيداً عنها كل البعد

-هو النقد الذي يهتم بابراز الانطباعات العامة الظاهرة واهمال كل التفاصيل

-هو ان يعيد الناقد الانطباع او الأثر الذي تركته في نفسه قراءة لنصٍ انشائي( قصدية، قصة، مسرحية..الخ) كما هو في حالة حدوثه وفي الساعة التي كان فيها الناقد دون اضافة او اهتمام بأمرٍ سواه، ودون ادنى اهتمام بالصحة والخطأ والعلمية والموضوعية. فالمسألة ذاتية صرف.

- هو الذي يعتمد على الذوق الخاص القائم على التجربة الشخصية فيبتعد عن المنهج الموضوعي العلمي فهو نقد ذو طابع غير مقنع؛ لأنه لا يهتم بالنصوص، بل كل اهتمامه يتركز على أثرها في نفس الناقد. فمقياسه الشعور و الذوق.  
- هو كل نقد أخرجه صاحبه ليس نتيجة تأمل ودراسة مدققة تعتمد على معايير وضوابط متفق عليها. بل تحت تأثير الانطباعات الأولية السريعة ,أو الأهواءالشخصية المتحيزة, أو المزاج الفردي الخاص.

**كيف نشأت الانطباعية؟**

الانطباعية مدرسة أدبية فنية، ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فرنسا، ترى في الإحساس والانطباع الشخصي الأساس في التعبير الفني والأدبي، لا المفهوم العقلاني للأمور. ويرجع ذلك إلى أن أي عمل فني لا بد من أن يمر بنفس الفنان أولاً، وعملية المرور هذه هي التي توحي بالانطباع أو التأثير الذي يدفع الفنان إلى التعبير عنه، فالانطباعية من هذه الوجهة هي محاولة للتعبير عن الأحاسيس الفورية للعالم والأحداث.

وكان (إدمون دو جونكور وأخوه جوليه) وهما كاتبان فرنسيان من القرن التاسع عشرالميلادي أول أهم الكتَّاب الانطباعيين. واستخدم الأمريكي (جون دوس باسوس) بعض رؤوس الموضوعات والأغاني والإعلانات في مقطوعات انطباعية تُبرز روح القرن العشرين. بدأت الانطباعية في فرنسا، ثم انتشرت في أوروبا. وهي اتجاه يدخل في جميع المدارس الأدبية، فالانطباع عنصر أولي في أي عمل فني، ولكنه ليس كل شيء، ولذلك اندثرت عندما اقتصرت على فكرة أن الانطباع هو الهدف الوحيد والمادة الخام التي يتشكل منها أي عمل فني. أُطْلِقَتْ الانطباعيةُ في البداية على مدرسةٍ في التصوير ترى أن الفنان يجب أن يعبر في تجرد وبساطة عن الانطباع الذي ارتسم فيه حسيّاً، بصرف النظر عن كل المعايير العلمية، فالمهم هو الانطباع الذي يضفيه الضوء مثلاً على الموضوع لا الموضوع نفسه.

ويرى الانطباعيون أن كل معرفة لم يسبقها إحساس بها فهي لا تجدي، كما أن المضمون هو المهم لا الشكل الفني عند الأديب الانطباعي في نقل انطباعه الذاتي للآخرين، والعالم الخارجي مجرد تجربة خاصة وأحاسيس شخصية وليس واقعاً موضوعيّاً موجوداً بشكل مستقل عن حواس الفرد.

من النقد الذي وُجه للانطباعيين أنهم جروا وراء التسجيل الحرفي للانطباع ونسوا القيمة الجمالية التي تحتم وجود الشكل الفني في العمل الأدبي. وأن أدب الاعترافات والخطابات الأدبية الذين أدت إليهما الانطباعية، حين يعبر فيهما الأدباء عن مكنونات صدورهم، تحولا إلى مجرد مرآة لحياة الأديب الداخلية، أي أن هؤلاء ينظرون إلى الأدب على أنه مجرد ترجمة ذاتية أو سيرة شخصية للأديب. وهكذا فقد أصبح النقد الأدبي والتذوق الفني مجرد تعبير عن الانفعالات الشخصية والأحاسيس الذاتية التي يثيرها العمل الأدبي في الناقد.

إن العالم الحديث وما يتضمنه من أنانية فردية، وذاتية غير أخلاقية هو الذي أفرز مذهب الانطباعية حين فرض على الفرد العزلة، فأصبحت أفكاره تدور حول ذاته، وليس العالم عنده سوى مجموعة من المؤثرات الحسية العصبية، والانطباعات والأحوال النفسية، ولا يهمه الاهتمام بالعالم وإصلاحه أو تغييره إلى الأفضل. لا تعبأ الانطباعية بإصلاح أحوال الناس أو تغيير العالم إلى الأفضل. ومن هنا كانت الثغرات الأخلاقية والاجتماعية في هذا المذهب الأدبي ذات أثر كبير على كل من يطلع على نتاجه دون أن يكون ملماً سلفاً بفكرته تلك، فالفنان الانطباعي غير ملتزم إلا بالرؤية الحسية وتصوير ما انطبع على حواسه حتى لو لم يره الآخرون.

**أسباب ظهورها**

ما دعا الناس الى هذا النوع من النقد هو ضيق الناس بالنقد العلمي وما اليه، وحاجتهم الى الانطلاق بعيدا عن الاحكام والقواعد والمعايير. إنه رد فعل طبيعي لتشدد الاخرين في اخضاع الادب للعلم الصرف او لقوانين وقواعد خارجية، مُعَدّة، لا تنبثق من النص الادبي نفسه.

كثير من النقد الانطباعي كان موجَّهاً الى برونيتير الذي تطرّف في استخدام قواعد العلم ومعاييره في النقد. ولهذا يقول اناتول فرانس( رائد النقد الانطباعي): " قليل من المواد في العالم تخضع خضوعاً تاماً للعلم... ولن تكون قصيدة من هذه المواد، ولا شاعراً. إن الاشياء التي تتراءى لنا أكثر جمالاً واكثر جذباً هي على وجه الدقة هذه التي تبقى دائماً غامضة لدينا وفي جزء منها سر. الجمال والقضية والعبقرية ستحتفظ دائما بسرها"

وكذلك ينتقد جول ليميتر هو الاخر برونيتير الذي يأخذ بالاحكام المسبقة القائمة على العقل. وهو لا يحكم على كُتّاب اليوم الا بالمقابلة مع كُتّاب القرن السابع عشر. وإن الفكرة التي له عن هؤلاء هي منطلقة من الحكم الذي يصدره على اولئك. وينتقده لأنه يعجب بأدباء القرن السابع عشر اعجابا شديدا فهو يراهم احسن منّا واكثر أصالةً.

ويقول عنه، أنّه ذهنه فلسفي اكثر من اللازم، منشغل بالنظريات اكثر من اللازم، لا يترك نفسه تعجب عن طيب خاطر بكتب اخرى غير هذه التي استعلم عنها سلفاً واطمأن اليها. وهذا ما يحول دون النفاذ الى الاعمال الجديدة. أليس عدلاً وضرورياً ان نبدأ قدر الامكان دون فكرة سابقة بقراءة متعاطفة مع الاعمال الادبية، لكي نصل الى تحديد هذا الذي يحتويه من أصيل وخاص بالكاتب؟

**الانطباعية تعني الرفض:**

1. رفض القواعد/ رفضت جميع القواعد النقدية، ورفضت ان يُحكَم على الفن والادب بالقواعد والنظريات
2. رفض العلوم/ لم ترى في التاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع والعلوم الاخرى ما يفيد النقد او الناقد
3. رفض التفسير والحكم/ رفضت الوظائف المألوفة للنقد مثل تفسير العمل الفني او تقويمه باصدار الحكم عليه.

فالنقد كما يرى الانطباعيون ليس له غرض، سوى وصف تأثير العمل الادبي في نفس الناقد.

**أبرز أعلامها، ومقتطفات من كلامهم**

اقترنت الانطباعية في النقد- في المقام الاول- بعَلَمَين فرنسيين هما اناتول فرانس وجول ليميتر، فضلاً عن اخرين مثل أتكنز ولورنس وهازلت

1. يعد الأديب الفرنسي (**أناتول فرانس**) (1844 - 1924م)، رائد الانطباعية في الأدب، بعد أن انتقل المصطلح من الرسم إلى الأدب. يرى هذا الأديب أن قيمة أي عمل أدبي تكمن في نوعية الانطباعات التي يتركها في نفس القارئ وهذا الانطباع هو الدليل الوحيد على الوجود الحي للعمل الأدبي.

من أقواله في هذا المجال:

" النقد مثل الفلسفة والتاريخ، نوع من الرواية تستخدمه العقول اليقظة المحبة للاستطلاع، وكل رواية في احسن تعريفاتها سيرة ذاتية. والناقد الجيد هو الذي يروي مغامرات نفسه وسط روائع المؤلفات"

" لا يوجد نقد موضوعي كما لا يوجد فن موضوعي. وكل هؤلاء الذين يتبجحون بانهم يضعون شيئاً اخر غير ذواتهم في عملهم مخدوعون باكبر وهم كذاب. الحقيقة ان المرء لا يخرج عن نفسه أبداً.. إننا منطوون داخل شخصنا كما لو كنا في سجن مؤبد. إن خير ما نستطيع عمله كما يخيّل اليّ، هو ان نعترف مختارين بهذه الحال الرهيبة، وان نعترف بأننا نتحدث عن انفسنا كل مرة لا نملك معها القوة على السكوت"

" لكي يكون الناقد صادقاً يجب عليه ان يقول: أيها السادة، ساتحدث لكم عن نفسي لمناسبة الحديث عن شكسبير وراسين او باسكال او غوته. إنها فرصة جميلة. لنقدس الكنب، لنحب الكتاب، لنكن هواة كتب"

" إن النقد لا يساوي شيئاً الا بالذي يزاوله، والاكبر شخصية فيه هو الاكثر امتاعاً"

" ليس من شك في أن الشعر والشاعر، لن يصيرا في يوم من الأيام موضوعا، يعالجه العلم البحث"

وهكذا نجد أن الطريق مفتوحة لكل التفسيرات، والّا فمن يستطيع ان يدذعي كعرفة المعنى الدقيق لعمل أدبي؟ لا توجد حقيقة لعمل فني حتى لهذا الذي صنعه.

2. أمّا **جول ليميتر**) 1853-1914) فقد كان ناقداً ادبياً ومسرحياً ، كتب مقالات عدة في الصحف والمجلات، جمعها فيما بعد في سلسلة مجلدات باسم (المعاصرون) صدر الجزء الاول منها عام 1886 وسلسة مقالات نقدية مسرحية باسم (انطباعات مسرحية) صدر الجزء الاول منها 1888. لاقت الرواج والاستحسان. يقول فيها:

" ليست هذه المقالات... الا انطباعات صادقة سُجّلت في عناية" واستشهد بعد ذلك بنص لسانت بوف يعكس روح الانطباعية.

" النقد الادبي لا يكون الاّ انطباعياً"

3. ويقول **أتكنز:**  " بالنسبة لي، لن أنهض بحكمٍ ما. أتحدث حسب ما أتخيله، فيما يترك هذا النتاج(نتاج فيرجل) من تأثير في قلبي وذهني"

4. **وليم هازلت**: " ما يهمني هو ان أتحسس كل ما هو جيد"

5. **لورنس:** " النقد الادبي لن يكون اكثر من بيان مُعلِّل للشعور الذي استخلصه الناقد من النص" وبالرغم من اشارته الى التعليل يظل لورنس وثيق الصلة بالتأثريين والانطباعيين.

ويقول ايضا: " النقد لن يكون علماً. إنه شخصاني في المقام الأول، شخصاني جداً، وفي المقام الثاني يعنى بالقيم التي يتجاهلها العلم. قبضته هي العاطفة لا العقل. إننا نحكم على العمل الادبي بقدر ما يؤثر في احاسيسنا وعواطفنا الحادة، ولا شيء آخر. كل هذه التوافه والثرثرات النقدية حول الاسلوب والشكل، كل هذه التصنيفات الزائفة والتحليلات الكتابية ذات الاسلوب العلمي( كعالم النبات مثلاً) إنْ هي إلاّ تحجّر ورطانة"

ومن أعلام الانطباعية أيضاً (**أنطوان بروست**) ويعد من أبرع من جَسَّدَ الانطباعية الأدبية فهو حين يصف مشهداً أو ينقل أحاسيسه إزاء مشهد، تتجسد أمامنا لوحة انطباعية. ومن الأفكار التي آمنت بها الانطباعية وروجت لها: أن الفنان يحس أو يتأثر أولاً، ثم ينقل هذا الانطباع أو التأثير عن طريق التعبير، ولا يهتم بالمعايير المتبعة في النقد الأدبي. وطالما أن قيمة أي عمل أدبي تكمن في نوعية الانطباعات التي يتركها في نفس القارئ، فإن على الأديب أن يضع هذه الحقيقة نصب عينيه، لأن الانطباع هو الدليل الوحيد على الوجود الحي للعمل الأدبي. والانطباعية تقول: (أنا أحس إذاً أنا موجود) في مقابل العقلانية التي تقول على لسان ديكارت: (أنا أفكر إذاً أنا موجود).

ومن الانطباعيين الاخرين: **ريمي دوكورمون، أندريه جيد، بيير لوتي، جيرودو.**

ومن **الانطباعيين العرب**: طه حسين في كتابه"أحاديث الأربعاء" في الجزء الثالث، وعباس محمودالعقاد في كتابه "الديوان في الأدب والنقد" ومقالاته النقدية، والمازني في كتابه" حصاد الهشيم"،و ميخائيل نعيمة في كتابه "الغربال". بينما المنهج الجمالي الذي يبحث عن مقومات الجمال في النص الأدبي من خلال تشغيل عدة مفاهيم إستاتيكية كالمتعة والروعة والتناسب والتوازي والتوازن والازدواج والتماثل والائتلاف والاختلاف والبديع فيمثله الدكتور ميشال عاصي في كتابه" مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ "

**خصائصه**  
- ينبغي على الأدب ألا يوصل بأي قاعدة أو قانون.  
- إصدار الأحكام النقدية و تحليل النماذج الأدبية يكون نتيجة التأمل فقط.  
- يجب أن توحي الأحكام النقدية بذوق أصيل و بصيرة نافذة لمطلقها و أن تلامس ما شعر به

و أحسه القارئ للنص.  
- المقياس الحقيقي للنقد هو قيمة تأثير الأثر الأدبي في النفس لا باعتبار قواعد الفلسفة الجمالية والموضوعات الاجتماعية أو الخلقية مقياسا للنقد، لكونها متغيرة من عصر إلى عصر.  
- يهدف هذاالاتجاه على تجسيد و شرح الانطباعات التي نتلقاها من الإنتاج الأدبي و التي تترك فينا شعورا غامضا من الأحاسيس العميقة.  
- كما أن الإبداع الأدبي لا يلتزم بقواعد ثابتة جافة، إذ هو عالم طليق نتيجة عبقريات فردية. كذا هو النقد فهو يعد وجهاً من وجوه الإبداع الأدبي، فلا ينبغي أن يتقيد بأي نوع من القيود العلمية.  
- يرى الاتجاه التاثري أن نقيضه الاتجاه الموضوعي ليس سوى ايديولوجية تقتل تلك اللذة و المتعة الفكرية التي تتولد داخل نفوسنا من خلال تذوقنا النصوص الأدبية المختلفة.

**عيوبه والمآخذ عليه( النقد الموجه له)**

1. لا يضع حدوداً لما يقوله الناقد. اذ في استطاعته ان يتحدث عن اي شيء وكل شيء.
2. يكشف الناقد عن شخصيته الذاتية بما فيها من آراء و أفكار.
3. خروجه عن النطاق الجمالي. فالناقد الانطباعي لا يكون له في كثير من الاحيان شأن بالتركيب الباطن للعمل الفني وقيمته. أي انه لا يكشف عن كوامن النص. فقد يحسّ الناقد جمال النصّ الأدبيّ ولكنّه لا يستطيع تحديد الجمال وتفسيره.
4. يشجع عمداُ على الخروج عن الموضوع في العمل المنقود( الاستطراد)
5. عدم امتلاكه الاداة النقدية للكشف عن النص. فهو يعتمد على ثقافة الناقد ومزاجه
6. لا يسعف كلا الاتجاهين في النقد: الجمالي( الشكلي) والفكري( المضموني). فقد يخشى أن ينصبّ اهتمام الناقد على الشكل دون المضمون، أو العكس.
7. ينساق وراء الانشائية والوصفية مما يؤدي الى التسطح النقدي والسقوط في الديماغوجية، فكيف تُرسَم الحدود بين الانطباع والمصدر الموضوعي؟ وأين تنتهي التفصيلات الانشائية واين يبتدىء التفسير النقدي؟

ورغم هذا، فقد أتبث النقد التأثري جدارته، من خلال كونه نظرية نقدية، أسهمت في الكشف، عن المتعة الفكرية، في العمل الإبداعي، كما أنه، يأتي في المرحلة الأولى، للعملية النقدية، قبل النقد الموضوعي. فالقارئ يمر حتما، بانطباع أولي، عندما يتأثر بالموضوع، والأسلوب واللغة، وشخصية الكاتب. بينما تتبع هذه المرحلة، القراءة الموضوعية للنص لاكتشاف الحقائق بعيدا عن العاطفة الجياشة، والانفعالات الذاتية المؤثرة. وقد أكد " لانسون" مؤسس منهج التاريخ الأدبي على أهمية هذا النقد، كمرحلة ضرورية في بداية المرحلة النقدية، قبل المرور إلى المرحلة الموضوعية.